الدماء تدق النوافذ

يبدأ الجرح من وطني بالتراب الجريح
ثم يمتد حتى السماء
يبدأ القهر من صرخة الاقبيه
ثم تحمر منه الدماء
يبدأ الوطن المرتجى من طعام الصفار
من الفقر حين تضايقه التسميه
نبع الفقر من أوجه الفقراء
حينما استغفروا الله مسكنه
حمدوه على اللقمة المخزية
ستروا فقرهم مثلما تستر المعصية

* * *

ها هي امراتي تتحرك وسط الزحام
تلتقي مقلتانا فنطرق خوف الكلام
بيننا السر ينمو بصمت ، نخبئه في الضجيج
وبين زحام الحفاة
مرة قلت انظر في مقلتيها
رأيت غدي افقا من خيام
خفق القلب حين رأتني
فأدركت ان سوف يأتي الفزاة
كان شيء من الوجد في مقلتيها
انطفا هلعا فعرفت البقية
ها انا بدم أتدثر ،
ان الدماء تدق النوافذ، توقف زحف المشاة
بدأ الدم من جرح كف تجاهد للخبز
تجني مجاعتها كل عام
بدأ الجرح من ماء نهر يفيض بوجه الحسين المضرج
وتدفق في النيل ، والنيل يحمل وجه شفيع المدجج
بدأ الدم من شجر بين عجلون والنهر
كانت تقصفه الريح ،
والزارعون يغصون بالدم خوف الطفاة
بردى يلعق الشفتين ويركض ذعرا
فيخلي الطريق لسيل الدماء
من هنا ابتدأ الجرح والوطن المترامي قتيلا بغير كفن
وتجمع بين الركام الذي يترسب عبر الزمن
فتما ظلمة يتستر فيها الحواة
مرة قلت أنظر في مقلتيها فأرعبني خوفها المختزن
البنادق كانت مخبأة ، والدماء تدق النوافذ
والارض من خوفها تتقشر أفق رمال
الدماء تدق النوافذ ، كان الجياع يجوعون جهرا
يخافون سرا
ويخفون في القلب حتى الدعاء
وانا أرقب امراتي خلسة بين جمع النساء
وأرى رعبها يتجمد نبض سؤال
والدماء تدق النوافذ ، كانت بنادقنا في المخابىء
والغاضبون امتطوا حرقة العمر
كي لا يموتوا انتظارا ، فماتوا اغتيال
لم يزل بيننا السر ينمو ، ونحييه حين أرى وجهها
في الزحام
صحت : يا زمنا جف حتى تشقق دع لي بقية
صحت : يا جيشان الدموع توقف
لدينا لاحزاننا أبجديه
كان لي وجه حزن أليف تحسسته فاختفى من يدي
من سيرجع وجهي الي
من سيعرف وجها ورثت ملامحه من سيوف التتار
كان وجها به جرحي العربي

* * *

قلت : يا امراتي اقبلت ليلتي المفجعه
هو ذا زمن فيه أعداؤنا ينبعون من البيت
يسرون بين خيوط الدماء
يشهرون السيوف ويأتون من سجن الاصدقاء
ومن سجن الاقرباء
يبدأ الثأر من جوع اطفالنا ودموع الرجال
انها هجمة بدأت بحصار الدماء
قلت : يا امراتي انتبهي واحفظي ما ترين
سقطت عنهم الاقنعة
والافاعي التي تطمئن وتظهر أنيابها ،
ثم تهجر أوكارها
سوف نعرفها حية حية .. حنشا حنشا
وسنرقب أوكارها ، والاجنة وسط البيوض ،
ونعرف لون العظام
فلتعجّ البراري بها ،
سوف يتضح الامر يوم الصدام
سنخزّن احقادنا المبدعه
سنحل دماها :
أنا فارس الغد حين نلاقي الزمان
أنني أرجع الدهر نحو بدايته المفزعة
وأنا أمتطي صعبتي ، وأراقب كل المداخل
جاءنا زمن القتل لم يبق شهر حرام
فتعالي نعلم حجارتنا ان تشير اليهم وتتقن اسماءهم
اخذوا العمر من بدايته
ولنا سوف تبقى فصول الختام
يلتقي الجائعون بجوع جديد مقاتل
انه زمن القتل ، عبر جميع اللغات
لن يكون به آمن :
كل من دخل الارض يضحي قتيلا وقاتل
وحجارتنا ستدل عليهم وتعلن اسماءهم
ثم لا عفو ،
للفقر ذاكرة لا تخون الدماء السبية
انهم يحسبون الزمان مشانق
نحن نحصي الزمان بما يتجمع من طلقات لهذي البنادق
سنفاجئهم :
هذه امراتي حبلت من دمائي النقية
حبلت رغم كل الرزايا وقد سلمت من جميع المآزق
الدماء تدق النوافذ ، وامراتي حامل
وانا والد الطفل ،
أولدتها بندقية

دمشق

ممدوح عدوان